قصيدة "تحية ومودة وأسى"

للدكتور إبراهيم السامرائى

سَعَيتُ بعدَ ثلاث أبتغى أَرَبى ... وقد تخيبُ المُنَى فى سَعْيِ مُغتَرِبِ
وعُدْتُ بعدَ ثلاث أرتَعى أَمـلًا ... مُنىً ضروباً وألفافًا من الأَدَبِ
حُلِّئْتُ عن مَوردٍ عَذْبٍ غَرِضتُ له ... والعَذْبُ أنفَسُ ما أبغيه فى طَلَبى
عَقَدْتُ فى شامخِ الأُرْدُنِّ آصِرَتى ... وبِنْتُ عنه ، فلم أعدِمْ به نَسَبى
وفُزْت فيـه ، ولى أَهْلٌ جَعَلْتُ بهم ... وِقاءَ ما أَتَردَّى فيه من وَصَبِ
أَتعَبْتُ نَفْسى ، فلم أحمَدْ مسيرتَها ... وقد تَسَلَّقْتُ سَفْحَ الطَّودِ فى تَعَبى
وقد دَرَجْتُ ، ودَأْبى فيه فى صَعَدٍ ... حتى فَطَنْتُ ، وسَعْيى فيه فِى صَبَبِ
وقد صَرَفْتُ إلى «صنعاءَ» وافداتى ... وقِبْلتى كل «نَجْمٍ» ثاقِبٍ «نَدِب»
وقلتُ : لابُدَّ فى «صنعاءَ» لى رَحِمٌ ... جَذَّاء ، لم أَتَّخِذْ يوماً لها سَبَبى
قَصَدْتُهَا ، ورَمَيتُ الطَّرْفَ مُحتَسِباً ... أَنْ أَلتَقى البَلَدَ الثاوى على اللَّهَبِ
وعُدْتُ أَضيَعَ مأسورٍ ، وآسِرُهُ ... ذِئبُ النَّوَى ، بالبُؤْسِ النازحِ الحَرِبِ
قد حيلَ بينى وبينَ الأَهل فى بَلَدٍ ... سَمَا به كل مَعْدود من النُّخَبِ

* * *

يا وَيْلَ بغدادَ من ظُلم أَعَدَّ لـــه ... ذو بِغضةٍ باتَ يُذكى النارَ فى الحَطَبِ
ياخُسْرَ عانينَ راحوا يبتغونَ بنا ... ما يبتغى كلُّ مَسْعُور من الكَلَبِ
أيَغْتَلِى كلُّ همّامٍ إلى السَّلَـبِ ... ويَخْلِطُ الأَفَنَ المرذولَ بالكَذِبِ !!
لا ، لن يَجىءَ إلى مارامَ من خَبَثٍ ... وكيفَ يَسْطيعُ مَشَّاءٌ إلى الغَلَبِ
قد أنكروا الخالصَ المأثورَ فى الكُتُبِ ... أَوْ لا ، فكيف الذى من جارنا الجُنُبِ

* * *

(*) ألقيت فى الجلسة الخامسة ليوم السبت ١٩٨٨/٢/٢٧ م

وَيْحَ النَوَى ، أَخَذَتْنى أَخْذَ مُقْتَسِرٍ وقد شَرَتْنى ، وباعتْ بَيْعَ مُغْتَصِبِ
لا أَكذِبُ اللهَ ، لم أَعدِمْ بها غَرَضاً أَنْ أَسْعَفَتْ بلقاءِ السادةِ النُّجُبِ

* * *

ياصاحبَ البيت معموراً تجودُ له ما دُمْتَ تَحرِصُ حِرصَ الوالدِ الحَدِبِ
سَماحةً ثَرّةً قد رُحتَ تُرسِلُهـا عِلْماً فيعمُرُ ما تُعطيهِ مِن كَثَبِ
حَباكَ صفوةُ قومٍ كلِّهِمْ قَمَرٌ مانوّروا فيـه من إشعاعِنا العَجَبِ
مَشَوا إلى الكَلِمِ اللّائى أَضاءَ به نورُ « الكتاب » الذى أَرْبَى على الكُتُبِ
تَحَلَّبوها فأَهدَتْ دَرَّ سـامحةٍ واستَمرؤُوها فطابَتْ زُبْدَةُ الحَلَبِ
وكانَ ما كانَ من نُعماهُ أَصورةٌ وكانَ منه جَنَى مَعْسولةِ الرُّطَبِ

* * *

يا صاحبَ البيتِ ، إنَّا أُمَّةٌ شَقِيَتْ فى حاضرٍ يتَشَهَّى عودةَ الحِقَبِ
أُنبيكَ أَنَّا أَضَعْنَا مجدَ عامرةٍ كانت لأَسلافنا فى مَعْقِلٍ أَشِبِ
وأَنَّنِى جئتُ أُشدو بعضَ عارفةٍ عَلِقْتُ منه ، ولم أَسمَعْ لمُحتطِبِ
فى جَمْعِكُمْ عَزَّ من جَمْعٍ تَأَلَّفَـهُ صَحْبٌ تَسامَوا عن المزهُوِّ بالرُّتَبِ
حَمَلتُمُ العِبْءَ ، بل حُزتُم به شَرَفاً عُقْبَى الذى جلَّ عن شكٍّ وعن رِيَبِ

* * *

إنَّ التى بتُّ من أَحلامها قَلِقاً فى حاضرٍ تَتَرَاماها يَدُ النُّوَبِ
سَعِدتُ فيها على مَرٍّ من الحِقَبِ ونِلْتُ منها ، وقد حَقَّقْتُ من أَرَبِى
مَشَتْ على الدهر ، بنتُ الدهرِ يَخطِبُها صِيدُ الرجال ، فكانَتْ زينةَ الخِطَبِ
واستَقْبَلَتْهَا ربوعٌ لاحـدودَ لهـا وهى السماحةُ فى الآفاقِ والرَّحَبِ
وقـد تَحَلَّى بها مِن غيرِ آهـلِها جَمْعُ الوَرَى ، وهى صَوْتُ الجَحْفَلِ اللَّجِبِ
حَوَتْ لئالئَ ، لم تُعرَفْ بعامرةٍ من اللُّغاتِ التى خَفَّتْ إلى الجِشِبِ

ولم تَقِفْ عند هذا بل شَأَت عَدَدًا ... من المعارف فى الأَجواءِ والشُّهُبِ
زَكَتْ وطابَ لها عِرْقٌ تَكَفَّلَهـا ... بما غَـذَتْهُ مِن أُمٍّ بَرَّةٍ وأَبِ
صَحِبْتُها فَنَمَتْ فى صُحبَتى مِقَـةٌ ... مَشَتْ إلى كلِّ عِرْق غابرٍ تَرِبِ
لَزِمْتُه فَهَـدانى بعضُ صُحْبتِـهِ ... إلى مكارم هذا الخالِصِ الذَّهَب
وَجَدْتُه فوجَدْتُ العِلْقَ يَنْفُسُـه ... أُشابةٌ حَفَلَتْ بالتِّبْرِ والحَصَبِ
ولم أَشِحْ عن حَصاها ، جَلَّ عن شَبَهٍ ... بل جُلْتُ فيه ، وليس النبْع كالغَرَبِ
وقد يَشوقُكَ بعضُ السِّحْرِ فى حَجَرٍ ... كما تَرى الأَلَقَ المنضورَ فى خَشَبِ
وحُلْوُهُ حُلْوُ مااستَصْفَيتُ مِن مُلَحٍ ... فخَلِّ عنكَ بعيدًا شَهْدَةَ الضَّرَبِ
إنِّى لأَقْتَحِم الأَسرار فى شَظِفٍ ... من الأُوابدِ ممّـا لُفَّ بالحُجُبِ

* * *

وقُلتُ : ها مِصْرُ قد عُدْنا وعادَ بنا ... ما ضيمَ من حاضرٍ أَوفَى على الشَجَبِ
رُحْنا نَزُمُّ خَراباً باتَ ينقُضُنـا ... من القواعد ، بل رُحنا إلى صَخَبِ
كأَنَّنَا لم نَرِثْ من غابرٍ أَلَقـاً ... يبدو على ما أَضَعناه من الحَسَبِ
أَنَرتضى أَنْ يسودَ الكفرُ فى بَلَدٍ ... أَسْرَى إليه نَبِىُّ العُجْمِ والعَرَبِ
يَسُومُنا الخَسْفَ لم نَثأَرْ لمَظْلَمةٍ ... وقـد تَحَوّلَ معمورٌ إلَى خَرِبِ
لَهْفى على الرَّبَواتِ الزُّهْرِ عَفَّرهـا ... دَمُ الشهادةِ مَطلولًا على التُّرُبِ
ويا رُبَى « القُدسِ » وافاكِ الرفاقُ بما ... يَزيدُ سِحْرًا على أَثوابِكِ القُشُبِ
حَمِدْتُ فيكِ الأُلَى اختاروا سِلاحَهُمْ ... « حجارةً » كَرُمَتْ كالسُّمْرِ والقُضُبِ
فـذاكَ أَجْدَى علينا من رُفَهْنِيةٍ ... إن كانَ كلُّ الذى نَبغيهِ فى الخُطَبِ
لم نَعْتَبِرْ بالذى يُرْوَى لنـا عَجَباً ... ما قيلَ من فَعَلاتِ الخُرَّدِ العُرُبِ
إنِّى لآنَفُ من بعضٍ تَخَطَّفَهمْ ... ما زالَهم فارتمَوا فى نَشْوةِ الطَّرَبِ
وقد أَعانوا « بلَغْوٍ » لاغَناءَ به ... وذاكَ أَعظَمُ مِمَّنْ لاذَ بالهَرَبِ

لو أَنَّ قومى أفاقوا من عَمايتِهِمْ ... وقد تَداعَوا فشارَتْ سَوْرَةُ الغَضَبِ
إِذَنْ لآمَنْتُ أَنَّا أُمَّـةٌ فطَنَـتْ ... لِما يُحيقُ « بأَقصاها » من الكُرَبِ

* * *

يا مِصْرُ ، يا مِصْرُ أُمَّ الوافدينَ إلى ... رِحابِ مجدِكِ من مَوروثه الخَصِبِ
مَشَوا إليكِ ، وكُلٌّ يَجتَديكِ إلى ... « صَعيد » أَرضِكِ بالأَمجاد مُختَضِبِ
يَسْتَلْهِمونَ نَجيعَ التضحياتِ هُدىً ... بادى الشواهِدِ من آنى دَمٍ سَرِبِ
وحَسْبُهُمْ كلُّ شِبْرٍ جَلَّ مَعْلَمُهُ ... وبَيْضةُ المجدِ لم تَهْرَمْ ولمْ تَشِبِ

* * *

يا مِصْرُ إنْ هَزَّنى لُقْياكِ يأْسِرُنى ... وقـد سَعَيتُ إليه سَعْىَ مُرْتَقِبِ
فقد وَقَفْتُ على أَمرٍ وَجِعْتُ لـه ... ونالَ منِّى ما قد نالَ من نَصَبِى
وذاكَ أَنَّ صحاباً قـد عَرَفْتُهُمُ ... طَوَوا فرُحْتُ أُعانى أَىَّ مُضْطَرَبِ
بِهِمْ غَنيتُ ؛ وقد حقَّقْتُ نافلةً ... أَنْ كانَ فى «رُفَقاء» الأَمسِ مُطَّلَبِى
طَوَوا ، وأَمرىَ منهم أَمْرُ مُحتَسِبٍ ... وبِنْتُ عنهم ، وصَبْرِى صَبْرُ مُحْتَرِبِ
بَكَيْتُهم ، وبكائى زَفرةٌ صَعَدَتْ ... تهُدُّ من صَبْرٍ مُلْتاعٍ ومُلْتَهِبِ
وقد أَسَوْتُ إلى جُرْحى ببعضِ أَسًى ... عن بعض مُبْتَعِدٍ فى شَخْصِ مُقتَرِبِ
طَوَوا شُخوصاً ، وعندى مِن سَراوتِهِمْ ... كأَنَّ منها ظِـلالًا قَطُّ لم تَغِبِ
لكنّنى رُحْتُ فى تَيْهاءَ مُظلِمـةٍ ... كأَنَّهَا البحرُ ذو التَّيّارِ والعَبَبِ
وبى تَعِـلَّةُ ما أُلفى بِـهِ سَـعَةً ... أَغْنَى بها فى وجود عابسٍ شَحِبِ

ابراهيم السامرائى
عضو المجمع المراسل من العراق

* * *